إياكم وخضراء الدمن

obeikandl.com

obeikandl.com

إياكم وخضراء الدمن

« إياكم وخَضْرَاءَ الدِّمَنِ، قيل: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء » قال ابن السكيت: شبهها بالبقلة الخضراء في دِمْنَةٍ أرض خبيثة؛ لأن الأصل الخبيث يحن إلى أصله، فتجيء أولادها لأصلها في الغالب. فيجيب على اللبيب - إن ساعفته الأقدار - أن يختار لزراعته الأرض الطيبة، وهي الأصل الطيب، لتكون الفروع طيبة. وفي الحديث: « تخيَّرُوا لنطفكم ولا تضعوها إلاّ في الأَكْفَاءِ ».

العلماء قالوا: " يستحب أن تختار امرأة تسرُّك إذا نظرت إليها ". هذا من السنة، لكن العلماء أيضاً ومنهم الماوردي يقول: " كره العلماء أن يختار الإنسان امرأةً ذات جمالٍ بارع لأنها متعبةٌ إلى أقصى الحدود، فإنها تزهو بجمالها، وتحب أن ينظر الناس إليها، وربَّما تعاند زوجها، وربَّما تتفلَّت من أوامر الشرع تفلُّت البعير". لذلك هذا رأي بعض العلماء، أنه يجب أن تختار زوجة تسرك إذا نظرت إليها، أما أن تختارها فائقةً فهذا ربما عاد عليك بالمتاعب التي لا حصر لها.

في حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام: "من تزوَّج المرأة لجمالها أذلَّه الله..."

هي تزهو عليه بجمالها وهو يتصاغر أمام هذا الجمال، فكأنها هي الآمرة الناهية، وكأنها هي القَيِّمة، وكأن لها القِوامة، لذلك: "من تزوَّج المرأة لجمالها أذلَّه الله. أي لجمالها فقط - ومن تزوَّجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءةً فعليك بذات الدين تربت يداك".

لكن لو أنك تزوجت امرأةً غنيَّة وطابت لك عن بعض مالها، فهذا يأكله الزوج هنيئاً مريئاً، كما قال الله ﷻ في القرآن الكريم: (سورة النساء)

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: "إياكم وخضراء الدمن"

(من أحاديث الإحياء: عن "أبي سعيد الخدري")

الدِّمَن جمع دِمْنَة وهي المزبلة، وخضراء الدمن أحياناً تنبت نبتةٌ في هذه القمامة، فإذا هي نضرة، لأنها كلها سماد، هذه سمَّاها النبي عليه الصلاة

والسلام خضراء الدمن، قال عليه الصلاة والسلام: "إياكم وخضراء الدمن، فقيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء ".

(من أحاديث الإحياء: عن "أبي سعيد الخدري")

البيئة سيِّئة، البيئة غير إسلاميَّة، البيئة غير ديِّنة، متفلِّتة، الجو العائلي جو مريض، الجو العائلي جو غير صحي، الشاعر الحكيم قال:

ليس الجمال بأثوابٍ تُزيننا إن الجمال جمال العلم والأدبِ

* * *

حديثٌ آخر رواه سيدنا أنسٌ عن النبي عليه الصلاة والسلام: "من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه".

(من كنز العمال: عن "عوف بن مالك الأشجعي")

والنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا حضر عقد قِران يقول: "بارك الله لكما وعليكما وفيكما".

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال عليه الصلاة والسلام: "لا تزوجوا النساء لحسنهن...".

فإذا ذُكرت كلمة حُسنٍ أو جمال المقصود الجمال وحده، أي أنك آثرت الجمال على الدين، هناك رقَّةٌ في الدين وتفوُّقٌ في الجمال، آثرت الجمال على الأخلاق، هناك شراسةٌ في الأخلاق، ورقةٌ في الدين، وتفوُّقٌ في الجمال فالأمر فيه نذر السّر، إذا ذكر النبي عليه الصلاة والسلام كلمة الجمال أو الحُسن فالمقصود به من آثره على بعض الشروط الأخرى.

يقولون: إن واحداً وضع عشرة شروط، أول شرط الجمال، ثاني شرط الكمال، الثالث الغنى ـ المال ـ الرابع الحسب، الخامس النسب، السادس الثقافة، السابع إلى أن صاروا عشرة، أرسل والدته فلم يجد، فتخلّى عن شرط، عمل جولة ثانية بعد سنة، فلم يجد فتخلى عن شرط ثانٍ، عمل جولة ثالثة فلم يجد فتخلى عن شرط ثالث، بعد عشر سنوات بقي على شرطٍ واحد وهو أن يعثر على امرأةٍ ترضى به، فعلى المرء ألا يعقد الأمور كثيرا.

"لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن"

أي جميلة وجاهلة، حسنها يرديها، يجعلها تستعلي عليه، لا يحتملها زوجها فيطلقها، وهذا يحصل دائماً، استعلاؤها على زوجها يحملها على أن تكون فظَّةً معه، وقد لا يحتمل الزوج هذا، فيكون الفراق والشِقاق، إذاً:

"لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوَّجوهنَّ لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ـ المال يطغي ـ ولكن تزوَّجوهنَّ على الدين، ولأمة خرماء ـ أي أذنها مشرومة ـ سوداء ذات دينٍ أفضل". (رواه بن ماجة من طريق عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم).

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بالباءة ـ أي بالزواج ـ وينهى عن التبتُّل نهياً شديداً، ويقول: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة".

(من تفسير ابن كثير):

النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق وحبيب الحق اختار لنا هذين الشرطين: الودود الولود. أي ما من طبعٍ أبغض عند الرجل في المرأة من أن تكون لئيمة، أو قاسية، أو متكبِّرة، أو لها لسانٌ سليط، أو مستعلية، النبي عليه الصلاة والسلام قال: " تزوَّجوا الودود ". تحب زوجها، تتحبَّب إليه، ترضيه، تؤثره على كل شيء، هذه الودود، الولود لأنها إذا أنجبت لك طفلاً ملأ هذا الطفل البيت أنساً ولطفاً، ومحبَّةً واشتياقاً، ومتَّن العلاقة بين الزوجين، " تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة ".

وقال يحيى بن أكثم: لا يفلتنكم جمال النساء عن صراحة النسب، فإن المناكح الكريمة مدرجة الشرف. وقال عثمان بن أبي العاص لأولاده: المناكح مغترس فلينظر المرء حيث يضع غرسه، فإن عرق السوء يعدي ولو كان بمدحين.

قال الشاعر:

لا تنكحن لئيمةً لمعيشةٍ تبقى اللئيمة والمعيشة تذهب

شاور رجل حكيماً في التزوج فقال له: إياك والجمال.

فلن تصادف مرعىً ممرعاً أبداً إلا وجدت له آثار مأكول

وقال: الجمال للرجال مطمع، وأنشد:

لا تطلب الحسن إن الحسن آفته أن لا يزال طوال الدهر مطلوبا

وما تصادف يوماً لؤلؤاً حسناً بين اللآلئ إلا كان مثقوبا

وقيل لحكيم تزوج بقبيحة: هلا تزوجت بحسناء؟فقال: اخترت من الشر أقله.

صفات المرأة السوء:

وفي حكمة داود: المرأة السوء مثل شرك الصياد. لا ينجو منها إلا من رضي الله عنه.

وعن أبي عمرو بن العلاء قال: قال عمر بن الخطاب النساء ثلاثة: هينة عفيفة مسلمة، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها، وأخرى وعاء للولد، وثالثة غل قمل يلقيه الله في عنق من يشاء من عباده.

وقيل لأعرابي عالم بالنساء: صف لنا شر النساء. قال: شرهن النحيفة الجسم، القليلة اللحم، الطويلة السقم، المحياض، الصفراء، المشؤومة العسراء، السليطة الذفراء، السريعة الوثبة، كأن لسانها حربة، تضحك من غير عجب، وتقول الكذب، وتدعو على زوجها بالحرب. أنف في السماء وآست في الماء.

وفي رواية محمد بن عبد السلام الخشني قال: إياك وكل امرأة مذكرة منكرة، حديدة العرقوب، بادية الظنبوب، منتفخة الوريد، كلاهما وعيد، وصوتها شديد؛ تدفن الحسنات، وتفشي السيئات؛ تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان؛ ليس في قلبها له رأفة، ولا عليها منه مخافة إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت؛ وإن طلقها كان حريبته، وإن أمسكها كانت مصيبته، سعفاء ورهاء، كثيرة الدعاء، قليلة الإرعاء؛ تأكل لما، وتوسع ذما؛ صخوب غضوب، بذية دنية؛ ليس تطفأ نارها، ولا يهدأ إعصارها، ضيقة الباع، مهتوكة القناع؛ صبيها مهزول، وبيتها مزبول؛ إذا حدثت تشير بالأصابع، وتبكي في المجامع؛ باديةٌ من حجابها نباحة على بابها، تبكي وهي ظالمة، وتشهد وهي غائبة؛ قد ذل لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور.

نافرت امرأة فضالة زوجها إلى سلم بن قتيبة، وهو والي خراسان، فقالت: أبضغه والله لخلال فيه. قال: وما هي؟ قالت: هو والله قليل الغيرة، سريع الطيرة؛

شديد العتاب، كثير الحساب؛ قد أقبل بخره، وأدبر ذفره؛ وهجمت عيناه، واضطربت رجلاه؛ يفيق سريعاً، وينطق رجيعاً؛ يصبح جبسا، ويمسي رجسا، إن جاع جزع، وإن شبع جشع.

ومن صفة المرأة السوء يقال: امرأة سمعنة نظرنة. وهي التي إذا تسمعت أو تبصرت فلم تر شيئاً تظننت تظنناً.

قال أعرابي:

إن لنـــــا لكنـــــه سمعنـــــه نظرنـــــه

مفنـــــة معنـــــة كالـــذئب وســـط العنـــه

إلا تره تظنه

وقال يزيد بنعمر بن هبيرة: لا تنكحن برشاء ولا عمشاء، ولا وقصاء، ولا لثغاء، فتجيئك بولد ألثغ. فوالله لولد أعمى أحب إلي من ولد ألثغ.

وقالوا: آخر عمر الرجل خير من أوله، يثوب حلمه، وتثقل حصاته، وتخمد شرارته، وتكمل تجارته. وآخر عمر المرأة شر من أوله، يذهب جمالها، ويذوب لسانها، ويعقم رحمها، ويسوء خلقها.

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام: إذا قال لك أحد: تزوجت نصفا، فاعلم أن شر النصفين ما بقي في يده وأنشد:

وإن أتـــوك وقـــالوا إنهـــا نـــصف فـإن أطيـب نـصفيها الـذي ذهبـا

وقال الخطيئة في امرأته:

أطـــوف مـــا أطـــوف ثـــم آوي إلى بيـــت قعيدتـــه لكـــاع

وقال في أمه:

تنحـــي فاجلـــسي مـــني بعيـــداَ أراح الله منـــك العالمينـــا

أغربـــالاَ إذا اســـتودعت ســـراَ وكانونـــا علـــى المتحـــدثينا

حياتـك مـا علمـت حيـاة سـوء وموتـك قـد يـسر الـصالحينا

وقال زيد بن عمير في أمته:

أعاتبهـا حتـى إذا قلـت أقلعـت أبـى الله إلا خزيهـا فتعـود
فإن طمثت قادت وإن طهرت زنت فهـي أبـداً يزنـى بهـا وتقـود

ويقال إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها، فعلامة ذلك أن تكون عند قربه منها مرتدة الطرف عنه، كأنها تنظر إلى إنسان غيره؛ وإذا كانت محبة له لا تقلع عن النظر إليه.

وقال آخر يصف امرأة لثغاء:

أول مـا أسمـع منهـا في الـسحر تـذكيرها الأنثـى وتأنيـث الـذكر

والسوأة السوآء في ذكر القمر

ولآخر في زوجته:

لقـد كنـت محتاجـاً إلى مـوت ولكـن قـرين الـسوء بـاق معمـر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً وعـذبها فيـه نكـير ومنكـر

وكان روح بن زنباع أثيراً عند عبد الملك، فقال له يوماً: أرأيت امرأتي العبسية؟ قال: نعم قال: فيم شبهتها؟ قال بمشجب بال، وقد أسيئت صنعته. قال: صدقت. وما وضعت يدي عليها قط إلا كأني أضعها على الشكاعي، وأنا أحب أن تقول ذلك لابنيها الوليد وسليمان. فقام إليه فزعاً، فقبل يده ورجله، وقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تعرضني لهما. قال: ما من ذلك بد، وبعث من يدعوهما. فاعتزل روح، وجلس ناحيةً من البيت كأنه حلس، وجاء الوليد وسليمان فقال لهما: أتدريان لم بعثت إليكما؟ إنما بعثت لتعرفا لهذا الشيخ حقه وحرمته. ثم سكت.

أبو الحسن المدائني: كان عند روح بن زنباع هند بنت النعمان بن بشير، وكان شديد الغيرة، فأشرفت يوماً تنظر إلى وفد من جذام، كانوا عنده، فزجرها. فقالت: والله لأبغض الحلال من جذام، فكيف تخافني على الحرام فيهم. وقالت له يوماً: عجباً منك كيف يسودك قومك؟ وفيك ثلاث خلال: أنت من جذام، وأنت جبان، وأنت غيور؟ فقال لها: أما جذام فإني في أرومتها، وحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه. وأما الجبن فإنما لي نفس واحدة، فأنا أحوطها، فلو كانت لي نفس أخرى جدت بها. وأما الغيرة فأمر لا أريد أن أشارك فيه، وحقيق بالغيرة

من كانت عنده حمقاء مثلك مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذف به في حجره. فقالت:

وهل هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تجللها بعل
فإن أنجبت مهرا عريقاً فبالحري وإن يك إقراف فما أنجب الفحل

وعن الأصمعي قال: قال أبو موسى: جاءت امرأة إلى رجل تدله على امرأة يتزوجها فقال:

أقول لها لما أتتني تدلني على امرأة موصوفة بجمال
أصبت لها والله زوجاً كما اشتهت إن احتملت منه ثلاث خصال
فمنهن عجز لا ينادي وليده ورقة إسلام وقلة مال

obeikandl.com